السيد الشيخ السلطان الخليفة
محمد المحمد الكسنزان
وأهم معالم نهضته الإنسانية

Mr. Sheikh Sultan Caliph
Muhammed Muhammed Alkasnazan
The most important features of his human renaissance

م. د. عادل علاوي النعيمي

Dr. Adel Allawi Al Nuaimi

Adel.A.AlNuaimi@gmail.com

أستاذ التصوف الإسلامي

قسم الدراسات الإسلامية وحوار الأديان والحضارات

الملخص

إن الحديث عن مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية هو حديث عن طراز رجال يعيدون لهذا الدين قوته ونضارته وبريقه، فيكونوا أحرص الناس على فهم الدين بجماله وكماله ومآلاته ومقاصده، ومنفعة هؤلاء الربانيون لا تقتصر على أقوالهم، بل وأفعالهم وأحوالهم النقية، وحسبنا من هؤلاء الرجال السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس الله سره، والذي مع كونه شيخا لأكبر طريقة صوفية في العالم، إلا أن هذا لم يثنه عن مهامه الكبرى في وعظ الإنسانية جمعاء، وهذا هو دور المجدد الذي يأتي بما يواكب العصر وينفع العباد في كل مصر، فكان في مقدمة المهام الكبرى التي حملها حضرته قدس سره هو الإرشاد ومعالجة اشكالية التربية الروحية في ظل تحديات العولمة من خلال نشر وتعزيز القيم الروحية في مواجهة خطاب التشدد والتطرف والتكفير وخطاب الكراهية والتنفير، والاستمرار في نقل رسالة المحبة والسلام والتسامح والتصالح والتعايش مع جميع الشعوب والطوائف والأديان، فكانت جهود الشيخ المجدد في التمهيد لحضارة عصرية جديدة تُعَوِّل على ريادة الإنسان في حوار الحضارات وعلى الحُبّ الذي يشكل فيها قطب الرحى لعمارة هذا الكون واستخلافه كما أراد الباري عز وجل.

الكلمات المفتاحية: الشيخ محمد الكسنزان، معالم النهضة.

ABSTRACT

Talking about the sheikhs of the Qadiriyya Kassanzanite ‘aliyah way is a talk about the style of men who restore this religion to its strength, freshness and brightness, so that people will be keen to understand the religion with its beauty, perfection, attributes and purposes. Sultan caliph Muhammad al-Muhammad al-Kasnazan al-Husseini, may God sanctify his secret, who, although he was the sheikh of the largest sufi order in the world, did not refrain from his major duties in admonishing all humanity, and this is the role of the renewer who brings what keeps pace with the times and benefits the worshipers in all regions. Among the major tasks undertaken by him, may God sanctify his secret, were the guidance and addressing the problematic of spiritual education in light of the challenges of globalization by spreading and strengthening spiritual values in the face of the speech of extremism, atonement, speech of hate and alienation, and continuing to convey the message of love, peace, tolerance, reconciliation and coexistence with all peoples, sects and religions. The efforts of the renewed sheikh in paving the way for a new modern civilization depended on the leadership of man in the dialogue of civilizations and on the love which is the main pillar of reconstructing this universe to be its caliph as the Almighty wanted.

Keywords: Sheikh Muhammad al-Kisanzan, landmarks of the Renaissance.

المقدمة

إن الحديث عن مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية يُعد من الصعوبة بمكان، وذلك لكون التجربة الصوفية رحلة ذوقية وجدانية لا توصف، بعيدة المنال عن أي رصد لتجارب شيوخ هم على قَدْرٍ عالٍ من الأهمية، لا سيما أنّ مقام المشيخة وكما هو معلوم عند أهل طريق الله ﷻ مقام لا يصح أن يتصدر له من لم يرث عن رسول الله ﷺ أعماله وأقواله وأحواله الشريفة، وأن يكون من أصحاب اللمسة الروحية المتسلسلة إلى رسول الله ﷺ.

هؤلاء الرجال الذين يعيدون لهذا الدين نضارته وقوته وبريقه، ويقومون بإحياء مبادئه العظيمة وأخلاقه القويمة، وما ينبني على ذلك من سلوك وتعاملات مع الغير، فيحصل الإحسان لخلق الله، ويُصَحح المسار العلمي والعملي، وإحياء فريضة الاجتهاد القائمة على التدبر والتفكر والتفقه الحقيقي لا على التقليد دون فهم ولا بصيرة، فيكونوا أحرص الناس على فهم الدين بجماله وكماله ومآلاته ومقاصده، ومنفعة هؤلاء الربانيون لا تقتصر على أقوالهم بل على أفعالهم وأحوالهم النقية .

وحسبنا من هؤلاء الرجال السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس سره، والذي مع كونه شيخاً لأكبر طريقة صوفية في العالم، إلا أنّ هذا لم يثنه عن مهامه الكبرى في وعظ الأمة والإنسانية جمعاء التي أصبح يُخشى عليها فكان لا بدّ لها ممن يُنقذها ويوقظها من منامها، فكان دوره أن يُهذِب هذه الحُلَّة ويعيدها إلى أصولها ويستخرج الجديد في الفروع مستنداً إلى أصول هذا الدين، وهذا هو دور المجدد الذي يأتي بما يواكب العصر وينفع العباد في كل مَصر .

فكان في مقدمة المهام الكبرى التي حملها السيد الشيخ السلطان هو الإرشاد ومعالجة

إشكالية التربية الروحية في ظل تحديات العولمة بمختلف مستوياتها وبجميع آثارها الفكرية والاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال نشر وتعزيز القيّم الروحية في مواجهة خطاب التشدد والتطرف والتكفير وخطاب الكراهية والتنفير، واستثمار تلك القيّم في الرد على دعاة الفتن العرقية والأثنية وأصحاب الأفكار الضالة والمذاهب الهدامة، والاستمرار في نقل رسالة المحبة والسلام، رسالة الإسلام الحقيقية القائمة على التسامح والتصالح والتعايش مع جميع الشعوب والأعراق والطوائف والأديان .

فكانت جهود الشيخ المجدد في التمهيد لحضارة عصرية جديدة يكون فيها الإنسان رائداً في عمارة هذا الكون الذي أراده الله تعالى أن يخلفه فيه للخير والمحبة والسلام، وكان الحُبّ في منهج السيد الشيخ يشكل قطب الرحى الذي يُعوّل عليه بناء الإنسان في حوار الحضارات، هذا الحُبّ النابع من قلبٍ لا يعرف عداوة لأحد، بل يعرف الخُلق الكريم، فكان أهلاً لأن يحمل رسالة الخير للإنسانية جمعاء .

وهكذا سرت جهود السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان قدس الله سره في أرجاء المعمورة، فأصبحت الطريقة العلية القادرية الكسنزانية تُعدّ أحدى العلامات البارزة في تاريخ التصوف الإسلامي في العصر الحديث، ليس في العراق فحسب، وإنما على مستوى العالم، وذلك لكونها طريقة واسعة في انتشارها ووسائلها وصيّغها الإرشادية، فهي ترقى لأن تمثل الخطاب الصوفي المعاصر .

❖ الشيخ السلطان الخليفة

ولد السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس سره، ومنذ نعومة أظفاره رآه عمه السيد الشيخ حسين الكسنزان قدس سره وكان عمره لا يتجاوز سوى بضعة أشهر فأخبر الحاضرين متفرساً بما سيكون له من شأن الطريقة ومستقبلها فقال: إن «الشيخ محمد» سيكون من كبار مشايخ الطريقة الذين يستمد منهم الأولياء في مشارق الأرض ومغاربها، وإن الطريقة سيكون لها في وقته شأن عظيم[1] .

درس السيد الشيخ محمد المحمد الكسنزان علوم الفقه والقرآن الكريم والعقائد وعلم التصوف في حياة والده، كما دخل خلوات كثيرة بأمره، وقد صحبه للإرشاد داخل العراق وخارجه واقفاً على خدمته، كما سافر معه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ١٩٧٣م .

وقد تولى أمور الطريقة والإرشاد وبايعه الدراويش والخلفاء أستاذاً وأباً روحياً سنة ١٩٧٨م، فكانت أولى خلواته في عهد مشيخته بعد ستة أشهر من تولّيه أمور الطريقة، حيث صحبه عدد من المريدين والخلفاء ،، ثم دخل الخلوة الثانية سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، وقد صحبه ضعف ذلك العدد من المريدين[2] .

ومنذ بواكير جلوسه على سجادة المشيخة قام بتجديد الجامع الكبير لممارسة شعائر الطريقة وكي يكون مأوى للدراويش والفقراء[3] .

❖ توصيف عصره

لقد كان ظهور السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس سره في

(١) نصار، د. جمال، الطريق إلى الطريقة، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص٩٥ .
(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ط١، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، القاهرة، ص٦-٧.
(٣) نصار، د. جمال، الطريق إلى الطريقة، مرجع سابق، ص٩٧ .

عصر أقبلت فيه المادية بجحافلها وفنونها وشهواتها لتقضي على ما بقيَّ من ورع وزهد في النفوس، وتشيع الطمع وتطلق العنان لشهوات الجسد، وقد شهد عصره ارتفاع موجة أعداء التصوف، وكثرة الطاعنين فيه وتصاعد نبرة المتعصبين بغير علم ممن لا يجيدون إلا رفض المغايرين لهم بغير علم أو دليل، وقد حمل هؤلاء راية الإسلام فكان أول همومهم السلطة والمال الحرام، وآخر همومهم الإسلام وتعاليمه، فنتج عن ذلك تصاعد التشدد والعنف القادم من تيارات الإسلام السياسي على اختلاف مسمياتها وأهدافها «فكانت الفوضى التي نعيشها والاستقواء والضجيج والهجوم على التصوف من قبل مؤسسات تنتمي إلى الحركة الإسلامية أو مؤسسات إعلامية تتاجر بقضايا الشعوب والعمل على حصارها وتجويعها لمضايقتها سلوكياً والعمل على انحرافها أخلاقياً»[1]، ومن هنا أصبح الجمّ الغفير من الناس يبحث عن ملجأ يقيهم طوفان هذا العنف ويعيدهم إلى أسس دينهم الذي قام على الألفة والتسامح والمحبة .

ولما كانت الصوفية تمثل الجانب الروحي النقي، بل وتمثل روح الإسلام ولبه، لذا فهي تعتبر المنجا والملجأ للجماهير الغفيرة الحائرة من البشر، هذه الجماهير التي أنهكتها الحياة بماديتها والحروب بدمارها والمدنية بغطرستها، لا سيما وأن البشيرية شهدت ثورة علمية تكنولوجية هائلة، اختصرت الأوقات وتلاشت بسببها المسافات وأصبح العالم قرية صغيرة، فألقت العولمة بظلالها على الأفراد والجماعات في جميع الدول والمجتمعات، وأصبح الجميع تحت تأثير المتغيرات والمستجدات وفي خضَّم الأزمات والتحديات .

في حين حافظت الصوفية بالابتعاد عن كل أشكال العنف والاستبداد والظلم

(١) الجفري، الحبيب علي، مداخلة للشيخ علي الجفري في جلسات المؤتمر الدولي للتصوف في القاهرة، التصوف منهج أصيل للإسلام، بتاريخ ٢٤/ ٩/ ٢٠١١م . للمزيد ينظر:
www.alhabibali.com.

والطغيان، فهي كسلوك تعتمد السير في طريق تهذيب النفس للوصول إلى الأحسن والأكمل في التعامل مع الخالق عز وجل، وفي التعامل مع المخلوقين من أبناء البشر كافة، فاحتضنت الجميع متسامية فوق العرق والطائفة والمذهب، تنشد السلام والمحبة والخير لبني البشر .

❖ هموم الشيخ السلطان الخليفة

كان من أهم المهام الكبرى التي حملها الشيخ السلطان هو الإرشاد ووعظ الأمة التي أصبح يُخشى عليها، فكان لابد لها ممن ينقذها ويوقظها من منامها، ويأتي في مقدمة هذه الهموم معالجة إشكالية التربية الروحية في ظل تحديات العولمة بمختلف مستوياتها وبجميع آثارها الفكرية والاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال نشر وتعزيز القيم الروحية في مواجهة خطاب التشدد والتطرف والتكفير، وخطاب الكراهية والتنفير، واستثمار تلك القيمّ في الرد على دعاة الفتن العرقية والإثنية وأصحاب الأفكار الضالة والمذاهب الهدامة، والاستمرار في نقل رسالة المحبة والسلام رسالة الإسلام الحقيقية القائمة على التسامح والتصالح والتعايش مع جميع الشعوب والأعراق والطوائف والأديان .

فكانت دعوة الشيخ السلطان دعوة يظللها العفو واللطف، وترك العنف والتزام الموعظة الحسنة، فبهذا استطاع جذب القلوب إلى المحبوب سبحانه، فنراه إذا جادل فبالتي هي أحسن، أي بالحجة الأقوى والطريقة الأقوم، فكان آية للهدى ودلالة على الرشاد .

من هنا تبرز الأهمية الاجتماعية لدعوته دعوة التصوف الإسلامي دعوة الرسالة المحمدية للإنسانية كافة، قوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرً ونذيراً ﴾ . [سبأ: ٢٨]، وتبرز قيمة تزكية النفوس وتطبيب القلوب وتضميد جراحات الفرد

والجماعة، ومحافظة هذه الدعوة على الكيان الاجتماعي للأمة والوقوف ضد ما تتعرض له من تصدّع وانهيار .

وهكذا يكون شأن العارف بالله، شأنه البعد الإلهي للحياة، فهو يُرجِعُ كل شيء إلى حكمة الله ﷻ، قوله تعالى: ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ . [طه: ٥٠]، فكل همٍّ من هموم الشيخ السلطان الخليفة كان غايته إحياء المعاني الكامنة وراء تفاصيل الحياة، وذلك لأن نظرته إلى أن الحياة بدون معناه الإلهي تغدو عدمية قاتلة، وهذا ما تُروج إليه الدعوات المادية والأفكار الضالة التي توقفت عند حدود العقل، ففقدت المعاني السامية للحياة، وذبلت الروح وقتلت إنسانية الإنسان الذي خلقه الله تعالى لتعمير هذه الأرض بالحياة .

ومع كون الشيخ السلطان وسط خِضَّم التجربة الحياتية والاجتماعية وهمّه كفّ الآذى عن الناس جميعاً، إلا أن حال قلبه مشغولاً بالحق وبمكوّن الأكوان، ومتخلق بأخلاق الله ورسوله ﷺ، وفي هذا يقول الإمام علي ؑ: «اللهم لا تخلِ الأرض من قائم بالحجة، أؤلئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده، هاهٍ شوقاً إلى رؤيتهم»[1]، وهو في معيّة ومتابعة الحبيب المصطفى ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال، وفي مداومة الذكر والفكر آناء الليل وأطراف النهار، وعند معاملة الخلق فطبعه الرفق واللين لأنه صنيعة الحق تعالى، فقد عاش حياته بقلب ملؤه الحب متلذذاً بأنوار القرب، لقد رحل الشيخ السلطان مكللاً جهوده في تجديد وإحياء الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ونشرها في أرجاء المعمورة، وفي عمارة الكون وخدمة الإنسان متحققاً في مقام الخلافة الإلهية لقوله

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ت: المعلمي: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ، ج١، ص١٢ .

تعالى: ﴿ إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ [البقرة: ٣٠].

❖ بناء الإنسان في مفهوم السيد الشيخ السلطان

إنّ التربية الصوفية تُعِدّ الإنسان إعداداً ناضجاً لممارسة الحياة بطريقة سليمة تعود عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، هذه التربية تقوم على أساس وحدة فكرية وسلوكية وعاطفية متماسكة فتجعله معطاءً يشعر بالمسؤولية دوماً عن الإصلاح وفعل الخير، والإصلاح في نظر السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس الله سره يكون « بالحكمة والموعظة الحسنة وليس بالعنف والإرهاب، لأنه مخالف للكتاب، فمن عجز عن ضبط نفسه على روح الشريعة كان ضبطه لغيره أعجز، من جدَّ في الإستقامة وجد السلامة وأمِنَ الندامة، الدنيا طالبة لهاربها، هاربة لطالبها، تعلموا وأعملوا تفلحوا، لا يعبر من لا يعتبر»[1]، لقد كانت الغاية من الحياة الدنيا كما حددتها الرسالة التي حملها الإسلام للإنسانية جمعاء، هي عبادة الله ﷻ للوصول إلى معرفته، والحصول على رضاه، من هنا كان منهج السيد الشيخ السلطان موافقاً لمنهج السادة مشايخ الصوفية عامة، ألا وهو كثرة العبادة التي تثمر معرفة الله تعالى وأعظم هذه العبادات هو ذكر الله تعالى الذي أمر سبحانه بإقامة الصلاة لذكره، فقال ﷻ ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ . [طه: ٤]، وأمر ﷻ بإقامة الصلاة وجعل ذكر الله تعالى أكبر في قوله: ﴿ وأقم الصلاة إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ . [العنكبوت: ٤].

من هنا كان الذكر أسرع الطرق الموصلة إلى معرفة الله ﷻ عن طريق محبته واتباع منهج رسوله ﷺ، فكان منهج السيد الشيخ السلطان مُؤَسَسٌ على «هذا الحبّ الواجب غرسه في صخر القلب القاسي من بعد تحوله بمعاول الذكر الإلهي المأذون

(١) مجلة الكسنزان، رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، العراق – السليمانية، العدد (٨)، ربيع ٢٠٠٩م، ص١٦ .

به والعشق المحمدي إلى ترابٍ هشٍ خاشعٍ هامد، فإذا ما أنزل إليه من بعد ماء تجلي الحقيقة اهتز هذا القلب وربت تربته وأنبتت من كل زوج بهيج تجنى ثمارها في الدنيا والآخرة»[1]، فالمشايخ الكاملون غيورون على عباد الله فهم «غياث الخلق وأمانهم، لأنهم دعاة إلى الله على بصيرة فهم في وقت الحاجة أحرى أنّ يكونوا»[2].

فليس لهم غرض أو غاية في الطريق إلاّ إيصال الخلق إلى الحق، وهكذا يكون ثمرة الخطاب الإلهي في توجهه إلى الإنسان باعتباره خليفة، والخليفة آخذ صفات مستخلفه، فالعبد يتعرض لتجليات الحق ﷻ ونفحاته، فيأتي بناء الإنسان منسجماً ظاهره مع باطنه، والأساس في ذلك الروح، لأن الروح هي المرتكز والكل في خدمة الروح سواء العقل أو الجسم أو الشرع أو الهمة، فبعد أن تتم تزكية النفس ويصل الإنسان إلى مرحلة القلب السليم، يكون الحبّ قطب الرحى الذي يُعوّل عليه بناء الإنسان في حوار الحضارات، هذا القلب الذي لا يعرف عداوة لأي أحد بل يعرف الحبّ والخلق الكريم، فيكون أهلاً لأن يحمل رسالة الخير للإنسانية جمعاء.

لقد ضرب السيد الشيخ السلطان المثل الأعلى بتجنبه العداوات والمعارك الجانبية المفتعلة بين المذاهب والطوائف والأديان، وجدَّ السير للنهوض لبناء الكفاءات، لأن من ينهض بالأمة هو من ينظر إلى الجميع لا إلى نفسه فقط، فكان منهجه عِلم وعمل ونفع للآخرين ونشر مبادئ التصوف الحق والإرشاد بين الناس في أرجاء المعمورة للعودة بشباب الأمة إلى الوسطية والوقوف بوجه التشدد والتطرف، ولم يتهيأ له ذلك إلا بعد وضعه أسساً لتخريج المرشدين تستند إلى العِلم والأخلاق وفتحه دورات

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ط٢، د.ت، مطابع الأديب البغدادية، بغداد، ص٤ .

(٢) السكندري، ابن عطاء، الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦، القاهرة، ص٥٦.

لتعليم لغات الأقوام الذين سيرسلون إليها للإرشاد[1]، ورافق ذلك فتحه لجامعة تضم علوم الشريعة والتصوف مع علوم العصر وتقنياته[2] لمواكبة الحضارة العصرية مع المحافظة على الأصول وتجنب كل سلبيات الحداثة وما أتت به من تشوهات على أفكار الأمم وثقافاتها الأصلية، فكان نتاجه الفكري[3] الغزير منذ أواسط الثمانينات من القرن الماضي حتى إنتقاله إلى الرفيق الأعلى في تموز ٢٠٢٠م، ذلك النتاج المتربط بالأصل للوقوف بوجه مشاريع التمزق والذوبان وضَياع الهوية.

لقد حرص السيد الشيخ السلطان طيلة حياته على الروح النقدية في محاسبة وتوجيه المريدين والخلفاء بصورة خاصة، وما يعرض له من مخالفات بصورة عامة تمسّ الشريعة أو أصول التصوف الإسلامي، وهذا نهج سار عليه بعض شيوخ التصوف ومؤرخيه منذ وقت مبكرٍ وعلى وجه التحديد منذ صدور كتاب « اللمع « لأبي نصر السراج الطوسي (ت: ٣٧٨هـ) حتى وقتنا الحاضر، فنراه قد عقد فصلاً يحمل عنوان « فضائح المنتفعين باسم التصوف « ضمن كتابه الموسوم «الأنوار الرحمانية « الصادر عام ١٩٨٦م في بغداد، قد بيّن فيه كل الممارسات الخاطئة التي تتستر خلف اسم التصوف وهي في الحقيقة تهدف إلى جمع حطام الدنيا سائرة على خطى الشيطان وأعوانه، وعلى

(١) الباحث، التصوف الإسلامي في العراق من بداية القرن الرابع عشر الهجري حتى الوقت الحاضر، أطروحة دكتوراه نوقشت في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان – الأردن، بتاريخ ١٧/ آذار / ٢٠١٤م، ص١١٦ .

(٢) المرجع السابق، ص١١٨ .

(٣) ومن أهم هذه المؤلفات: الأنوار الرحمانية، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تحقيقه لمخطوطة جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، إصدار التقويم المحمدي، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان في أربعة وعشرين مجلداً، وله مؤلفات عديدة لم تطبع بعد .

نفس النهج ترى وارثه السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان قدس سره في أحدى محاضراته يقول: « على المريد أن يكون قدوة لإخوانه ولبقية أبناء المجتمع، فحضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أُرسل ليتمم مكارم الأخلاق، فعلى الجميع الالتزام بأخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن ثم تطبيق العبادات واتباع ما جاء به من الشرع الشريف »[1] .

ولم يألوا الشيخ السلطان جهداً ولم يترك فرصة سانحة إلا واغتنمها لبعث المرشدين بعد إعدادهم، فقام بإرسالهم إلى دول العالم شرقاً وغرباً، وبالفعل أثمرت تلك الجهود وفتحت التكايا (الزوايا) في « السودان والأردن وتركيا والباكستان والهند وأندونيسيا وماليزيا والصين، وفي الشيشان والعديد من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا ورومانيا ودولاً أفريقية كثيرة»[2] .

ولا يخفى على أحد ما للتكايا (الزوايا) من أدوار عبر التاريخ كونها رباطات على ثغور الدولة الإسلامية لصد هجمات الأعداء، فوفِقَ المرابطون فيها بالجمع بين الجهاد والعلم والعبادة، كذلك تقلدت التكايا (الزوايا) مسؤولية التعليم في مناطق واسعة من بلاد المسلمين غاب عنها التعليم الرسمي لفترات طويلة[3]، فكانت بحق مدارس للتربية الروحية قدمت النموذج الحقيقي المعبر عن الوسطية والإعتدال التي جاءت بها رسالة الإسلام للإنسانية .

واليوم تشكل هذه التكايا (الزوايا) السد المنيع بوجه ثقافة التشدد والتطرف التي تدعو لنشر الكراهية والإرهاب بين الشعوب ولتفتت أواصر التواصل والمحبة بينها .

---

(1) https://www.youtube.com/watch?v=٤rGXX١Bq١Qw.

(٢) نصار، د. جمال، الطريق إلى الطريقة، ، مرجع سابق، ص٩٧ .

(٣) الباحث، التصوف الإسلامي في العراق، مرجع سابق، ص٦١، والبدراني، أحمد فكاك، الحركة الصوفية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ص٥٦ .

ويرتكز منهج السيد الشيخ السلطان في بناء الإنسان على نهج تسير عليه هذه التكايا سواء داخل العراق أو في بلدان العالم آنفة الذكر، على مبايعة الشيخ، وعلى الذكر مع الأدب، والأدب هو الإنسجام الروحي التام عبر قناطر الفناء الثلاث: الفناء في حضرة الشيخ، الفناء في حضرة الرسول ﷺ، الفناء في حضرة الحق ﷻ[1]، ثم شكر مع يقين، ويتم ذلك بصرف النِعَم إلى طاعة الله ﷻ، ودليل الفناء قوله تعالى: ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهن ﴾ [يوسف: ٣١] . هذا الموقف في حضرة مخلوق فكيف الوقوف في حضرة الخالق ﷻ؟!

وإذا كان الذكر أساس الطريق الصوفي، فإن الحُبَّ هو روح ذلك الطريق، والحُبُّ يُظهر كل سمات المحبوب في طريق السلوك، والحُبُّ في مفهوم السيد الشيخ السلطان هو: «وسيلة وصول المريد إلى المحبة المحمدية والإلهية، لأن الحب هو واسطة انتقال التأثيرات الروحية، لكونه حالة تتجاوز الحواجز المكانية ولا تعتمد على ما يصل بالحواس من أمر الحبيب، فاتباع الوارث المحمدي (شيخ الطريقة) يوصل إلى محبته، وهذه المحبة هي الطريق إلى محبة الرسول ﷺ والتي هي بدورها الطريق الوحيد إلى محبة الله تعالى»[2]، والشيخ يربي مريده بالنظر والهمّة، أي بالحال إضافة إلى المقال، وكلامهم حديث عهد بالله، « فمن لا ينفعك لحظُهُ لا ينفعك لفظه «[3]، والمريد ينتفع

(١) الكسنزان، الشيخ محمد الكسنزان، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، مرجع سابق، ص٨٢-٨٦ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار المحبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، سوريا، ج٥، ص٤٣ .

(٣) وتفصيل ذلك أن هذا القول فيه وجهان ؛ أحدهما: أن الرجل الصديّق يُكلِّم الصادقين بلسان فعله أكثر ما يُكلِّم بلسان قوله، فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته، ينتفع بالنظر إليه، فهو نفع اللحظ، ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا

بلقاء شيخه أو سماع كلامه .

والطريق الصوفي أساسه الذكر كما نوهنا قبل قليل، إذ أن للذكر فائدة عظيمة في إزالة الظلمة البشرية، يقول الفخر الرازي: « أنَّ حضرة الربوبية منبع الأنوار، فلا جَرَمَ كان الإشتغال بحضرة ذي الجلال يفيد وصول أنوار الربوبية إلى باطن القلب فتزول به ظلمات البشرية عن القلب والروح »[1]، والذكر في مفهوم السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس سره هو «المطرقة التي تهوي على صخر القلب القاسي بحجب الشهوات والغفلات لتهشمه وتحوله إلى تراب هش خاشع هامد، فإذا ما انزل إليه من بعد ماء تجلي العشق المحمدي اهتز هذا القلب وربت تربته وأنبتت من كل زوج بهيج، تجنى ثمارها في كل حين بإذن ربها في الدنيا والآخرة»[2]، وفي الحديث القدسي يقول الله عزّ وجل: «مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[3]، يقول

فلفظه أيضاً- لا ينفع ؛ لأنه يتكلم بهواه، ونورانية القول على قدر نورانية القلب، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها .

والوجه الثاني: أن نظر العلماء الراسخين في العلم والرجال البالغين ترياق نافع، ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حُسنَ استعداد الصادق واستئهاله لمواهب الله تعالى الخاصة، فيقع في قلب محبة الصادق من المريدين، وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة، وهم من جنود الله تعالى، فيكسبون بنظرهم أحوالاً سَنية يهبون وآثاراً مُرضية، وماذا ينكر المنكر من قدرة الله أن الله ﷻ كما جعل في بعض الأفاعي من الخاصية أنه إذا نظر إلى الإنسان يهلكه بنظره أن يجعل في نظر بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يُكسبه حالاً وحياة . الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، ج٥، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦م، بيروت، ص١٢٠ .

(١) الرازي، فخر الدين، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، بيروت، ص٥٣ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، مرجع سابق، ج٨، ص٢٦٥-٢٦٦ .

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ص١٠٩، والبزار (ح ١٣٧)، والطبراني في الدعاء (ح

حضرة الأستاذ الحاضر السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان قدس سره: الذكر هو الرابط مع حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، ومع آل بيته الأطهار وصحبه الكرام الذين صدقوا الوعد معه ونحن معه ومع أتباعه إلى يوم الدين إن شاء الله تعالى، وذكرُ الله تعالى إذا دخل القلب يَدّكُّ الجبال، وشاهد ذلك هو تجلي اسم الله تعالى على الجبل ﴿ جعله دكا ﴾، فكيف التجلّي على القلب وقلب المؤمن عرش الرحمن.

لقد أكرمنا الله تعالى بالصلاة الوصفية التي أهداها حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إلى شيخنا وأستاذنا حضرة السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس سره، وهذا تكريم لنا وهو تاج على رأس كل مريد إلى يوم الدين، والصلاة الوصفية تعتبر تاج الصلوات إن شاء الله في هذا العصر، لأن فيها الصفات الكاملة لحضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم[1].

❖ الشيخ المجدد وجهوده تُمهّد لحضارة عصرية جديدة

إنّ المجدد ليس نبيّاً ولا صاحب دعوى من الدعاوى، وكثيراً ما لا يعلم الناس مكانته إلا بعد انتقاله عندما يستعرضون مآثره، وهذا يؤكد لنا أنّ هذه الأمة الحيّة معطاة لـ «رجال يقومون على طريقة الأنبياء يجددون لها أمر دينها وينفخون فيها روح الجهاد ويفتحون لها باب الاجتهاد»[2]، يصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣] . وقد ورد في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين

١٨٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح ٥٦٧) .

(١) محاضرة لحضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان قدس سره، عن أرشيف مكتب التصوف – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية .

(٢) الندوي، أبو الحسن علي، ربانية لا رهبانية، ط٣، ١٩٧٨، دار الفتح، بيروت، ص١٥٠ .

على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]. ومنهج التزكية لا يتعارض مع التجديد الحضاري فالله ﷻ لحكمته يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها، لقوله ﷺ: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[2]. ومعنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، فالإسلام محفوظ بحفظ الله ﷻ لكتابه العزيز بدليل قوله سبحانه: ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩] .

أما التغيير والإنحراف والضعف والفتور يطرأ على الأمة فيبعث الله ﷻ عالماً بصيراً وداعية رشيداً ومصلحاً للأمة أمورها بعد خروج الكثير من الناس عن جادة الصواب الذي أكمله الله لعباده وأتم عليهم نعمته، فيجنبهم ويحذرهم محدثات الأمور ويرد انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فسمى ﷺ ذلك – في الحديث أعلاه – تجديداً بالنسبة للأمة .

فالمجدد ينظف هذه الحُلة ويعيدها إلى أصولها ويستخرج الجديد في الفروع مستنداً إلى الأصول وهذا الجديد هو ما يواكب العصر، والمجدد يرى «الفرق بين السّنة والبِدعة، فالسّنة لها أصل في الدين ولكن البدعة تخالف الدين وتهدم أصل الدين، وبما أننا لا نعيش زمن النبي ﷺ، بل نعيش منهج النبي ﷺ، لذلك لم يعترض أحد على المخترعات الحديثة»[3]، ولو دققنا النظر في عصر صدر الإسلام لوقفنا على بعض ما

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...»، رقم الحديث: (٣٥٤٥) .

(٢) سنن أبي داود، ج١١، ، ص٣٦٣، رقم الحديث: (٣٧٤٠)، والحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج١٩، ص٤٩٦، رقم الحديث: (٨٧٣٨)، والطبراني، المعجم الكبير، ج١٩، ص٤٦٧، رقم الحديث: (١١١٨)، والبيهقي، معرفة السنن والآثار، ج١، ص١٢١، رقم الحديث (٩٨) .

(٣) نفحات، ج١٠، الحضرة في المفهوم الصوفي، المفتي علي جمعة .

حدث في ذلك العصر، ومن أبرز هذه المواقف أن حضرة الرسول ﷺ لم يعترض في حديث بلال «سمعت خشخة نعليك»[1]، على ركعتين بعد الوضوء كان يصليها بلال كلما توضأ ولم يأمره بها رسول الله ﷺ، بل أقره عليها فأصبحت سنة حسنة، كذلك الرجل الذي كان يصلي فلما رفع من الركوع دعا قائلاً: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً طاهراً مباركاً فيه، فلما انصرف قال النبي ﷺ: من المتكلم ؟ قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول[2] .

وهكذا منهج النبي ﷺ أسس للتفريق بين ما كان له أصل في الدين وبين ما يخالف أصول الدين، فالذين لا يميزون بين البدعة والسّنة الحسنة كثيرون في كل العصور ولكن هم في عصرنا أكثر، أما شأن أهل العلم شأن أهل القلوب الضارعة إلى بارئها آناء الليل وأطراف النهار شأنٌ مختلفٌ تماماً عن الذين يتكلمون بغير علم ولا معرفة، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[3]، والغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء والإفرط فيه، وفي الشرع «المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد»[4].

---

https://youtu>be/JhhA١x-AMIo .

(١) وفي رواية « فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يديّ في الجنة ... «، دفَّ نعليك يعني تحريك . البخاري، كتاب التهجد، رقم الحديث: (١١١١) .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، (١/ ١٥٩) (٧٩٩)، ومسلم، صحيح مسلم، (١/ ٤١٩) (٦٠٠)، وابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٣) .

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، وقد ورد في روايات (يحمل هذا العلم) . المزي، تهذيب الكمال، ١١/ ٢٥١، وأبو نعيم، معرفة الصحابة، ٢/ ١٥٩، والطبراني، مسند الشاميين، ٥٩٩ .

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ٢٠١٠م، بيروت، ص٢٧٨ . والتطرف بمفهوم العصر هو رديف الغلو، ويعني الوقوف في الطرف بعيداً عن

وهؤلاء العدول هم الرجال الذين يعيدون لهذا الدين نضارته وقوته وبريقه، أي يقومون بإحياء مبادئه العظيمة وأخلاقه القويمة، وما ينبني على ذلك من سلوك وتعاملات مع الغير، فيحصل الإحسان لخلق الله، ويُصَحَح المسار العلمي والعملي، وإحياء فريضة الاجتهاد القائمة على التدبر والتفكر والتفقه الحقيقي لا على التقليد دون فهم ولا بصيرة، فيكونوا أحرص الناس على فهم الدين بجماله وكماله ومآلاته ومقاصده، ومنفعة هؤلاء الرجال الربانيون لا تقتصر على أقوالهم بل بأفعالهم وأحوالهم، لذلك قالوا: « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه «، فنورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها[1] .

وحسبنا من أولئك الرجال السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس سره والذي مع كونه شيخاً لأكبر طريقة صوفية في العالم، إلا أنّ هذا لم يثنه عن مهامه الكبرى في وعظ الأمة والإنسانية جمعاء، لذلك خرج في عدة حملات للإرشاد داخل العراق شملت عدداً من المحافظات وفتح الكثير من التكايا وخلّف عدداً كبيراً من الخلفاء والمرشدين وأمَرَهم بالإرشاد في كل زمان ومكان، وإضافة إلى تَنّقلهِ مرشداً في العديد من مدن العراق فقد أرسل خلفاءه إلى القرى النائية، كما وجّه النابهين منهم وبشكل منّظم إلى تعلّم لغات الأقوام التي ينوي إرسالهم إليها للدعوة والإرشاد مع تأكيده على أن يتلقوا التربية الدينية الصحيحة لينبثوا بعدها في أنحاء العالم دعاة مصلحين

الوسط، وأصله في الحسيات ثم انتقل إلى المعنويات، كالطرف في الدين أو الفكر أو السلوك، وهو مذموم من قبل كل الأديان لأنه يعتبر سبيلاً إلى الشطط ووسيلة لتمزيق النسيج الاجتماعي للأمم والشعوب، سيما أنه طريق للإرهاب الذي لا دين له ولا وطن .

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٠ .

ومعلمين مرشدين «يلتقطون نصيب الله (يقصد حق الله) من نصيب الشيطان، ويحيون أرضاً مواتاً من القلوب»[١].

ومن معالم اهتمامه بالإرشاد، هو وعظه لمريدي الطريقة بشكل شبه يومي، وفي كثير من الأحيان لأكثر من مرة في اليوم، هادياً لهم سواء السبيل، وهو في هذه المجالس، كثير الحثّ على الالتزام بأوامر الشريعة بالإضافة إلى آداب الطريقة[٢] . وقد غدا مجلسه أينما حلّ وارتحل، مثابة للعلماء والأدباء ومنبراً للدعوة والإرشاد، وأصبحت ساحات الطريقة الكسنزانية تعج بالذكر والعبادة، وأروقتها وزواياها تبعث بسنا شعاعها الروحي إلى زوايا العالم في عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى مشاعل حياة القلوب، وأصبح رئيس الطريقة القادرية الكسنزانية قطب الرحى في عصره، يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى بابه يزدحم الأمراء والكبراء .

كما وأثمرت جهوده في بعث المرشدين إلى دول العالم بفتح تكايا الطريقة الكسنزانية في السودان والأردن وتركيا والباكستان والهند وأندونيسيا وماليزيا والصين، وفي الشيشان والعديد من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا ورومانيا ودول أفريقية كثيرة [٣].

وكان السيد الشيخ محمد الكسنزان قدس سره مُولَع بجمع آثار الصالحين ودراستها فجمع أصنافاً من آثارهم ومخطوطاتهم النادرة لضمان صيانتها من جهة والاستفادة

(١) الندوي، أبو الحسن علي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر د.ت، ص٢٤٥ .

(٢) أنظر: نصار، د. جمال، الطريق إلى الطريقة، مرجع سابق، ص٩٧ .

(٣) المرجع السابق، ص٩٧ .

منها من جهة أخرى بهمة وعزيمة [1]، وللشيخ مكتبة علمية نادرة حَوَتْ آلاف الكتب، والمخطوطات التي جمعها بمشقة كبيرة فقد واظبَ على مراجعة دار المخطوطات في بغداد ومكتبة الأوقاف العامة ومكتبة الحضرة القادرية الشريفة سبعة عشر عاماً بصورة مستمرة وهو يطمح بأن يتكلل سعيّه هذا بإنشاء مركز عالمي متخصص بجمع الآثار الصوفية والاعتناء بها لتكون مرجعاً للباحثين والمهتمين بتاريخ الطريقة وأدبياتها في كل مكان، كما أن السيد الشيخ محمد الكسنزان كثير الاهتمام بالدراسة العلمية لكرامات مشايخ الطريقة[2] .

للسيد الشيخ السلطان محمد الكسنزان نَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ أعمال وإنجازات علمية جمّة وإن من أهم تلك الأعمال تأسيس كلية جامعة تحمل اسم (كلية الشيخ محمد الكسنزان الجامعة) سنة ٢٠٠٥م والتي أصبح اسمها فيما بعد (كلية السلام الجامعة)، وتضمّ إلى جانب قسم علوم الشريعة والتصوف وحوار الأديان، أقساماً أُخرى في علوم الاقتصاد، والسياسة والقانون واللغة وعلوم الحاسبات والرياضيات التطبيقية والأشعة والمختبرات الطبية، وقد أُسست هذه الكلية لتكون بمثابة نواة لجامعة أكاديمية مستقبلية، تقوم على أصلين:

أ- اعتبار التصوف مادة من مواد دراستها إلى جانب الفقه والتفسير والحديث واللغات العربية والانجليزية والقانون والرياضيات والحاسوب .

ب- المحاولات الجادة لإقامة مصالحة بين رجال الشريعة والتصوف، وهي المحاولة نفسها التي أعاد إحياءها كبار رجال التصوف عبر التاريخ الإسلامي والمتمثلة بالدمج الحيوي والبنّاء بين الحقيقة والشريعة.

وانطلاقاً من إيمان السيد الشيخ السلطان محمد الكسنزان بأن كل الطرق الصحيحة

(١) جياووك، بوتان معروف، النفحات الكسنزانية، مطبعة أسعد، ١٩٨٧م، بغداد، ص٥١.
(٢) نصار، د. جمال . الطريق إلى الطريقة، مرجع سابق، ص ٩٧ .

توصل إلى الله وأنها بعدد أنفاس الخلائق، لذا نراه يتعامل مع كل إنسان بما يناسب حاجته النفسية والعقلية والروحية، ليأخذ بأيدي الناس نحو سواء السبيل .

ومن الأعمال البارزة والمهمة للشيخ محمد الكسنزان قدس الله سره هو: جمعه وتحقيقه ونشره لأغلب ما تركه شيوخ الطريقة الكسنزانية من قبل من أقوال ومخطوطات وآثار كادت لولا هذا العمل أن تفتقد بين الناس .

ومن أعماله البارزة أيضاً تأسيسه للمركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية في بغداد سنة ١٩٩٥م وهو صرح علمي وروحي يضم اختصاصات متعددة تشمل كل ما له علاقة بالتصوف ودراسات الأديان وحوار الحضارات وقد شهد هذا المركز نشاطات عدة على مستوى عقد الندوات والمؤتمرات الدولية وجلسات الحوار إضافة إلى طبع ونشر الكثير من البحوث والدراسات الصوفية .

وتماشياً مع متطلبات العصر الحديث ووسائل التواصل والمعرفة فيه فقد وظّف السيد الشيخ السلطان محمد ذلك في دعم حملته الروحية فأنشأ موقعاً الكترونياً للطريقة العلية القادرية الكسنزانية (www.kasnazan.com) وجعل منه أداة في تذليل الصعاب لأجل التواصل مع مريديه في أصقاع الأرض كافة، وكذلك موقع التصوف الإسلامي الذي يمثل نافذة أخرى على العالم يعكس الجوانب المشرقة للتصوف الإسلامي (www.islamic-sufism.com)، وقد امتاز كلا الموقعين بـ «طابع الشمولية ولغة الحوار المتمدن كخطوة أساسية في هذا العصر لردم الهوة وتقريب المسافة مع الآخر والارتقاء بالفكر الإسلامي إلى المستوى الحضاري اللائق خاصة وأنه من المؤمل لموقع التصوف الإسلامي أن يفتح أبوابه أمام اللغات الرئيسة في العالم لتوطيد العلاقات

الفكرية والثقافية والعلمية بين المسلمين وغيرهم»[1] .

إضافة لما سبق ولغرض إيصال الطريقة إلى أبعد حدود ممكنة فقد اتخذ السيد الشيخ السلطان محمد الكسنزان خطوتين مهمتين تتمثل الأولى بكثرة رحلاته الإرشادية إلى دول العالم كبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها، وأما الثانية فقد تمثلت بإرسال الوفود من الخلفاء والمرشدين إلى خارج البلاد كي يفتحوا التكايا وينشروا تعاليم الطريقة بين أهل تلك البلاد وقد أثمرت هاتان الخطوتان بفتح العديد من التكايا في بلاد العالم والتي كانت الهند من أبرزها حيث أسلم العديد من أهلها الوثنيين على أيدي مرشدي الطريقة . ولأجل دعم هذه الوفود ودفعها لتحقيق أكبر المكاسب الدعويّة الممكنة فقد عمد السيد الشيخ السلطان محمد الكسنزان إلى فتح دورات علمية متعددة المعارف تضّمنت اللغات وعلوم الدين والشريعة ومبادئ التصوف، ومن بين مظاهر هذه الدعوة هي مجالس الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها السيد الشيخ السلطان محمد الكسنزان قدس سره في حلقاته ولقاءاته الأسبوعية، والتي يؤمل منها أن تمتد من خلال حملات الإرشاد التي يقوم بها خلفاؤه ومرشدوه[2].

وبالتالي يمكننا القول أن المدرسة القادرية الكسنزانية أصبحت اليوم من أبرز منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في زمن تكالبت فيه قوى الجهل والظلام على الأمّة.

❖ الشيخ المجدد والمدنية الحديثة

نتيجة للتطور الحضاري وهجوم المدنية الحديثة بكل ما تحويه من إغراءات وتعشّق

(١) الحديثي، د. عبد السلام بديوي، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب (٧٢)، كانون الأول ٢٠١٢، ص١٥٩ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان، مرجع سابق، جـ١ ، المقدمة، صفحة ز- س .

للمادة، وما جاءت به ثورة المعلوماتية والشبكة العنكبوتية وما يشهده عصرنا من نزعات إباحية ودعوات إلحادية وإتباع للهوى، ولتقادم العهد بين الإسلام الحق المتمثل بالرسول ﷺ وأصحابه وبين أجيالنا المعاصرة، فكان لا بد للمصلح الديني والمرشد الداعي الى إحياء الدين وسنة المصطفى ﷺ، من إظهار كرامات جديدة خارقة بمستوى حضارة هذا العصر كي يقتدي به الناس، متبركين بهذا التأثير الروحي عليهم، كون الكرامات جزء من بركات الرسول ﷺ لكنها بإسلوب جديد يناسب متطلبات العصر الحديث والحضارة المعاصرة، لقد نجح شيوخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ الى فلك الدين الحنيف بواسطة إظهار كراماتهم سواء في إثبات خوارق جسدية أو شفاء أمراض أعجزت الطب الحديث، من هنا كان إظهار الكرامات أمراً واجباً وضرورياً للشيخ المرشد، وليست من الواجبات التي تفرضها الطريقة على المريدين، لأن هذه الكرامات (الفعاليات) هي وسيلة لا غاية وإن هدف مشايخ الطريقة من وراء السماح لمريديها بممارسة هذه الفعاليات الخارقة، هو إرشاد الناس وحثهم على الرجوع الى طريق الحق والصواب والإنخراط في مسلك الطريقة قال تعالى ﴿ أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل: ١٢٥]، لذلك كان أمر السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان الحسيني رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم أنه « لا يجوز إطلاقاً ممارسة هذه الفعاليات الخارقة في غير سياقها الإرشادي القويم كإستخدامها للتفاخر أمام الناس »[1]، لأن هذه الفعاليات تجري بفضل الله ﷻ الذي منح هذه القوة الروحية لمشايخ الطريقة وهم بدورهم وظّفوا هذه الكرامات (الفعاليات) لغرض الإرشاد الذي يُعَدُ في فكر الطريقة الكسنزانية من أهم العبادات المفروضة على المريدين

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، مرجع سابق، ص١٧٧-١٧٨ .

فإذا وجد المريد أن إرشاده لشخص معين أو مجموعة من الناس يصبح تأثيره أقوى إذا صاحبته ممارسة بعض الفعاليات الخارقة يكون لزاماً عليه ممارسة هذه الفعاليات[1] التي تتميز بخصائص فريدة نذكر منها ما يأتي.

الخصائص الفريدة التي تتميز بها هذه الفعاليات الخارقة:

إن حقيقة الإمكانية الفورية لإصلاح تلف جسم المريد والتئام الجروح فيه، أو مقاومة جسمه للنار أو الصدمة الكهربائية أو سموم الأفاعي والعقارب، هي إمكانية القدرة الروحية التي منحها الله ﷻ لمشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ذات القدرة غير المحدودة في الدرك لمن يقوم بهذه الفعاليات، ولا علاقة للمريد بهذه الإمكانية إطلاقاً، لذلك فإن هذه الفعاليات ما هي إلاّ كرامات لمشايخ الطريقة الكسنزانية تظهر على أيدي مريديهم[2] .

فمن الخصائص الفريدة التي تتميز بها هذه الفعاليات الخارقة دون غيرها من الظواهر الباراسايكولوجية [3] هي خاصية التكرارية، أي أنّ هذه الخوارق ممكن القيام بها من قبل المريد متى شاء بعد الإستئذان من الشيخ، وهذا بحدّ ذاته تفوّق لا حدّ له على الحوادث والقدرات الباراسايكولوجية التي هي ظاهرة ظرفية أي أنّ وقت ومكان حدوثها لا يقع تحت سيطرة أحد، بل هي بحد ذاتها دلالة واضحة على عمق الإيمان

(١) المرجع السابق، ص ١٧٨ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

(٣) الباراسايكولوجي: ويتألف هذا المصطلح من شقين أحدهما البارا para ويعني قرب أو جانب أو ما وراء، أما الشق الثاني فهو سيكولوجي psychology ويعني علم النفس فيعني المصطلح (ما وراء علم النفس) أو علم النفس الموازي، ويسمى أيضاً الخارقية وهي دراسة علمية لحدوث إدراك عقلي للتأثيرات على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها أو إتصال . [ويكيبيديا – الموسوعة الحرة] .

الراسخ والشجاعة الفذة التي تمثل صورة حيّة ومتجددة لجهاد صحابة رسول الله ﷺ ، الذين كانوا يحرصون على الإستشهاد في سبيل الله ﷻ وإعلاء كلمته فتوهب لهم الحياة.

لقد حرص السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس سره على عقد أكثر من مؤتمر علمي تحت إشراف الأخصائيين للمقارنة بين الكرامات وعلم الباراسايكولوجي في العاصمة الأردنية عمان خلال السنوات (٢٠١٢-٢٠١٤م)، وتمخضت جميعها بفضل الله تعالى عن أن كرامات مشايخ الكسنزان قد دحضت كل التحليلات النفسية والتأثيرات المغناطيسية والتصويرات الشعاعية، وثبت للجميع[١] أنّ الحراب تخترق الأكباد وأنّ الخناجر تدخل في الرؤوس حقاً وحقيقة وأنّ التأثير الروحي للشيخ والرابطة الروحية بينه وبين مريديه بعيدة كل البعد عن التأثير المغناطيسي، وإنما هي لمسة روحية إلهية مستمدة من نور الله ﷻ متصلة على شكل سلسلة مع حضرة الرسول الأعظم ﷺ[٢] .

وهكذا فمشايخ الكسنزان جهادهم وإرشادهم وهجرتهم كلها لخدمة الإسلام والمسلمين ولنصرة الحق المبين التي يدعو لها ديننا الحنيف .

❖ أهم مميزات منهج الشيخ المجدد

لقد تميز منهج السيد الشيخ المجدد محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس سره في

---

(١) لقد إعتاد الناس على تسمية كل أمر خارق للعادة بـ (السحر) ونسبته الى أعمال شيطانية، ولكن الكرامة غير ذلك، فكل عمل من هذا النوع ينهار أمام الحقيقة كالخيّل والخدع البصرية التي لا وجود لها على الواقع، أما الكرامات فقد أثبت المشايخ حقيقتها باللمس والنظر وبالفحص الطبي الدقيق من خلال صور الأشعة والتحليلات المختبرية .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، مرجع سابق، ص٢٠٥ .

نشر الإسلام بأنه منهج قائم على ما يأتي[1] :

- تأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة، قال تعالى: ﴿ أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي حسن﴾. [النحل :١٢٥] .

- وأمام أهل العناد فمنهجها معهم هو خرق العادات بالكرامات قال تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾. [البقرة: ١١١] .

كما اقتضت حكمة الله أن يؤيّد أنبياءه ورسله بالمعجزات إظهاراً لصدقهم، فالكرامات – فرع من خوارق العادات – تأييداً لأوليائه وتصديقاً لهم وهي بمثابة حجة على أهل العناد الذين لا يمكن إقناعهم بدليل نقلي أو برهان عقلي لأنهم أصلاً يرفضون الإسلام ويشككون بظاهرة الوحي ونزوله على رسول الله ﷺ، فأمام هؤلاء لا ينفع النظر في محاجتهم ؛ لأن الغاية من الإرشاد في الطريقة إخراج الناس من الظلمات إلى النور وليس إقامة الحجج والردود الجامدة، فكما كانت المعجزات للأنبياء دليلاً على صدقهم فان كرامات الأولياء هي دليل على صدق منهج الطريقة ؛ لأن المشاهدة أبلغ في النفس من السماع والتفكر، وللولي أن يظهر الكرامة إذا كانت الغاية منها نشر الدين والعمل على وحدة الأمة وهدفها إدخال الناس في دين الإسلام، بدليل أن خالد بن الوليد شرب السّم[2] عندما طلب أهل (الحصن) من النصارى الذين كان يحاصرهم، فشربه ولم يؤثر فيه، مما دفعهم للدخول في الإسلام، كما هي في الوقت نفسه تّعد سبباً في تقوية إيمان حديثي العهد بالإسلام.

كما أن الطريقة العلية القادرية الكسنزانية انفردت – بفضل الله تعالى – عن جميع

(١) رسالة الرد على المُمهدين، المكتب الإعلامي للطريقة العلية القادرية الكسنزانية، د.ت، ص١٧ .

(٢) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به، ص ٢٥٩ .

الطرق الصوفية الأخرى بمميزات أهمها :

١ – إنّ أهم ميزة نلحظها على الطريقة الكسنزانية، هي أنها لم تكن كبقية الطرق مقتصرة على مكوّن ديني واحد ألا وهو (المكوّن السّني)، بل نجدها قد انفتحت على الطوائف والأعراق والمذاهب فاحتضنت الجميع ؛ ذلك لكون خطابها الصوفي المعاصر شاملاً غير مقتصر على طائفة أو انتماء إثني أو قومي بعينه، فنجد من بين أتباعها ومريديها من كان ينتسب إلى فرق وديانات فشرح الله له بالإسلام صدرا ؛ فأصبح الجميع يمثلون أطياف النسيج الاجتماعي في العراق، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ [الحجرات: ١٣]. فنجد « تكاياها منتشرة في جنوب العراق حيث الغالبية الشيعية وكذلك في وسط وغرب العراق حيث الغالبية السنيّة وكلا المكونين هم من القومية العربية، وأما انتشارها – ومنذ تأسيسها – في شمال العراق (كردستان) حيث الغالبية السنيّة من القومية الكردية، إضافة إلى ذلك نجد أعداداً غير قليلة من أبناء الديانات الأخرى الذين أسلموا على أيدي خلفاء ومرشدي الطريقة من الصابئة واليزيدية في العراق»[١]، فإن طريقة صوفية كالطريقة الكسنزانية تحتضن كل هذه الأطياف والأعراق والمذاهب لينصهر الجميع في بوتقة واحدة على طريق التزكية والترّقي الروحي متسامية بهم فوق العصبية والمذهبية والأحقاد التي ينوء بها المجتمع العراقي؛ فكان لها القدح المعلى في إرشاد العباد إلى جادة الحق والصواب وأصبح خطابها هو بحق الخطاب الصوفي المعاصر، لهذا كان انتشارها من شمال العراق إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه .

٢– إنّ مشيخة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية تمثل الإرث الروحي الذي يأخذ

(١) الخفاجي، بهاء ناصر، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب ٧٢، كانون الأول ٢٠١٢، ص١٩٨ .

مشروعيته عبر سلسلة متصلة وغير منقطعة من أكابر شيوخ التصوف الإسلامي إلى رسول الله ﷺ، فهي بعيدة عن كل موروث أو انتماء أو تأثير عشائري أو مناطقي أو عرقي أو طائفي، فهي الطريقة العلية نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والقادرية نسبة السيد إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، والكسنزانية نسبة إلى السيد الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان قدس سره، وبذلك حافظت على أصالتها مع تطاول الزمن فكان تجديدها على عهد شيوخ الكسنزان بشكل أضفى عليها رونقاً عصرياً مما أهّلَها لأن تُتَوّج كطريقة تمثل التصوف الإسلامي المعاصر.

٣- إنّ أهم عامل ساعد على ثبات الطريقة العلية القادرية الكسنزانية وانتشارها في العراق وفي العالم هو إتِبّاع مريديها على بُعدِ أوطانهم - لشيخ حَيّ حاضرٍ بين ظهرانيهم - يرونه ويزورونه، مما يجعل العلاقة مباشرة بين الشيخ والمريد، فيأخذ الشيخ دوره في تقويم وتوجيه وتربية مريديه، وبهذا تثبت الطريقة تقيّدها بأصول وأعراف الصوفية الذين أجمعوا على ضرورة مبايعة المريد لشيخ حي وعدم البقاء على مبايعة شيخ تحت أطباق الثرى فقالوا «من الواجب عليه «المريد» إذا مات شيخه أن يتخذ له شيخاً يُرَبيه زيادة على ما ربّاه الشيخ الأول، فإن الطريق لا قرار لها»[1].

ويمكننا تلخيص تلك السمات التي امتلكتها الطريقة القادرية الكسنزانية بما يلي:

١- أنها تمتلك الخطاب الصوفي المعاصر بشمولية منفتحة على كل الطوائف والأعراق.

٢- إن مشيختها تمثل الإرث الصوفي الأصيل الممتد عبر أكابر شيوخ التصوف خلال تاريخه الطويل.

٣- تقيّدها بالأصول والأعراف التي أجمع عليها مشايخ الطريق الصوفي الصحيح،

(١) الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ت: طه عبد الباقي سرور وصاحبه، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، مكتبة المعارف، بيروت، ص٥١.

عندما أوجبوا مبايعة شيخ حي حاضر يراه المريد ويزوره ويتلقى عنه الآداب .

٤- كل تلك السمات التي حازتها الطريقة الكسنزانية، جعلت مركزيةً عاليةً ورفيعة لمشيختها ؛ فشيّخها الحاضر هو السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان قدس سره يدير شؤون الطريقة مباشرة ومن خلال ممثليه الذين يتولون إدارة شؤون التكايا المنتشرة في العراق وفي العالم، مما يجعل هذه الطريقة حيّة برسالتها الإرشادية ووجودها الدعوي في الميدان رغم ضراوة ما جرى من أحداث دموية في العراق، يدفع الأعداء به لأتون حرب أهلية لا قَدَّرَ الله لا تبقي ولا تذر، مما يجعل رسالة التصوف رسالة الخلاص ؛ لأن مبادئه مبنية على الألفة والمحبة والسلام والتعايش السلمي بين الطوائف والأديان .

وبعد هذا التفصيل لجهود السيد الشيخ المجدد محي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في التمهيد لحضارة عصرية جديدة يكون فيها الإنسان رائداً في عمارة هذا الكون الذي أراده الله ﷻ أن يخلفه فيه للخير والمحبة والسلام، يمكننا أن نخلص إلى أن منهج الشيخ المجدد اتخذ عشق رسول الله ﷺ وسلم معراجاً للسمو الروحي، وأن رحلة السلوك هي بمثابة سفرة الحُبّ حُبّ العبد الطائع لمولاه ﷻ كمنهج دائم ومستمر ما دام رسول الله ﷺ فينا، لقوله ﷻ ﴿ وأعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ [الحجرات: ٧]، فهذه الاستمرارية وهذا الدوام كسريان الحياة من القلب إلى أنحاء الجسد، وهكذا حُبه وعِشقه يسري من القلب إلى كل جارحة فينا، كما أن من معانيه السامية هو استمرار اللمسة الروحية المتصلة في رجال هذه السلسلة المباركة، سلسلة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، وكلام السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس سره واضح على هذه الوارثة المحمدية لهذه الطريقة، فهو يقول: « الشيخ نهرو يمثلني من بعدي، لأنه شيخ المستقبل، والالتزام به إلتزام بمنهج المشايخ، وقد أبلغني أحد الصالحين أنه قد رأى السيد الشيخ السلطان حسين قدس سره قد وضع لسانه الشريف في فم الشيخ نهرو،

وإني رأيت أن الشيخ نهرو ثابت في سلسلة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية»[1] .

❖ آفاق الرسالة

لما كانت الرسالة المحمدية عامة إلى الناس كافة لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾. [سبأ: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾. [الأعراف: ١٥٨]، وقوله ﷻ: ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾. [الفرقان: ١]، فمن هنا جاءت دعوة السيد الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدس الله سره إلى التصالح الاجتماعي والسلم والمودة والأخاء لجميع البشر، لأنهم صورة لجمال الخالق عزّ وجلّ وآية من آيات بديع صنعه لهذا الوجود، وإنّ اختلاف البشر في الآراء والمعتقدات والطبائع، أمر طبيعي يجب الاعتراف به وقبول الآخر المخالف رأياً وسلوكاً دون رفضه وأقصائه، وكل ذلك ينسجم مع سياق قوله ﷻ ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾. [آل عمران: ١٥٩]، فتغيير الانحراف يتم بالرفق واللين لا بالقوة والعنف، وقد ورد عنه ﷺ « إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا يُنزع من شيء إلاّ شانه »[2]، فتطهير النفس من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بالأخلاق الفاضلة والتي يُعدّ الرفق ذلك الخلق الرفيع من أجملها، لأنه يضع الأمور في نصابها ويصحح الأخطاء ويقّوم السلوك ويهدي إلى الفضائل بألطف عبارة وأحسن إشارة وطريقة مؤثرة، فالله سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق في الأمر كله[3]، فلين الجانب بالقول والفعل واللطف في اختيار الأسلوب

(1) https://youtu.bez٧qejlxy. ٠٨

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: (٢٥٩٤).

(٣) قوله ﷺ: « إنّ الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه » . البخاري، رقم الحديث: (٦٩٢٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٣).

وانتقاء الكلمات وطريقة التعامل مع الآخرين وترك التعنيف والشدة والغلظة في ذلك وهو شامل لكل الأحوال والمناسبات، لما له من أثر حسن في تأليف القلوب وإصلاح النفوس وهداية الخَلق ودعوتهم إلى طريق الرشاد . ولنا في سيرته العطرة صلى الله تعالى عليه وسلم أثمن الدروس وأروع العِبر، فلما جيء بسبايا بني طي إلى المدينة المنورة، وأدخل السبي على النبي ﷺ وكانت معهم سفانة بنت حاتم الطائي، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوها ومن معها كرامة لأبيها لأنه كان يحب مكارم الأخلاق»[1] .

فأعلنت سفانة إسلامها أمام رسول الله ﷺ ثم أرسلت إلى أخيها عدي في الشام ليأتي رسول الله في المدينة ويعتذر منه ويُسلم علي يديه، وتم ذلك كله بفضل شمائله

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، (١٠٢/٨)، رقم (٤١٣٢) . فلما رأت سفانة هذا الخلق الكريم الذي لا يصدر إلا من قلب كبير ينبض بالرحمة والمسؤولية، قالت وهي مطمئنة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله، وأسلم معها بقية السبي من قومها، وأعاد رسول الله ﷺ ما غنمه المسلمون من بني طي إلى سفانه، فلما تجهزوا للرحيل قالت سفانه: يا رسول الله إن بقية رجالنا وأهلنا صعدوا إلى صياصي الجبال خوفاً من المسلمين فهل ذهبت معنا وأعطيتهم الأمان حتى ينزلوا ويُسلِموا على يديك فأنه الشرف ؟ فقال ﷺ: سأبعث معكم رجلاً من أهل بيتي دعوته كدعوتي يحمل إليهم أماني، فقالت من هو يا رسول الله ؟ قال: علي بن أبي طالب . ثم أمر النبي أن يجهزوا لها هودجاً مبّطناً تجلس فيه معززة مكرمة وسَيّرَها مع السبايا من قومها ومعهم علي عليه السلام حتى وصلوا إلى منازل بني طي في (جبل أجأ) . ونادى الإمام علي بأمان رسول الله بأعلى صوته حتى سمعه كل من في الجبل، فنزلت رجال طي وفرسانها جماعات وفرادى إلى الوادي، فلما وقعت أبصارهم على نسائهم وأبنائهم وأموالهم وقد عادت إليهم بكوا جميعاً وألتفوا حول الإمام وهم يرددون الشهادتين، فلم يمضِ ذلك اليوم إلا ودخلت كل قبيلة بني طي في الإسلام، ثم بَعثت سفانه إلى أخيها عدي (وكان عديَ قد فرّ إلى الشام بعد هزيمة قبائل بني طي أمام المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة، ثم تَنصّرَ هنالك = = وإلتجا إلى ملك الروم) تخبره عن عفو رسول الله ﷺ وكرمه وأخلاقه، وحثته على القدوم إلى المدينة المنورة ومقابلة النبي الكريم محمد ﷺ والاعتذار منه والدخول في الإسلام، فتجهز عدي من ساعته وقَصَد المدينة ودخل على رسول الله ﷺ وأسلم على يديه الشريفتين، ثم عاد إلى قومه معززاً مكرماً وصار بعد ذلك من خيّار المسلمين .

وحسن أخلاقه ومعاملته ﷺ، هكذا نرى كيف أن هذا الخُلق النبوي قد جعل من الناس العصاة بشراً طائعين مسلمين، وكيف أن هذه الوقفة النبوية الكريمة قد أعادت للناس الثقة بأنفسهم وأعطتهم الدافع القوي من أجل الانخراط في أجواء المجتمع الإنساني من جديد، وكيف رأينا بأن الإنسان عندما يجد عزته وكرامته تعطى له ولا تسلب منه ولا يُغمط حقه أو تصادر حقوقه أو تنتهك حريته، فإنه يتحول إلى إنسان صالح نافع في المجتمع الذي ينتمي إليه، ويصبح تفكيره دائماً في دائرة الخير والبناء والإصلاح، ولا يدع نوازع الشر والتمرد تتسلط على عقله وتفكيره، وهذا كله جاء نتيجة الموقف الكريم والخطوات المسؤولة التي اتخذتها القيادة الصالحة التي تستشعر المسؤولية في كل مواقعها الإنسانية النبيلة، وتتكرر هذه المواقف في سيرته العطرة المملؤة خلقاً وعفواً وإحساناً إلى الكثيرين ومنهم من أساء إلى رسول الله ﷺ، ولكنه الرحمة المهداة والنعمة المزجاة للعالمين، قوله ﷻ ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون ﴾. [يونس: ٥٨]، والصوفية فهموا جوهر هذا الأمر الرباني ومعانيه، فكانت عنايتهم للفرح برسول الله ﷺ لا حد لها ولا حصر، لأنه هو الرحمة[1]، بل عين الرحمة الواجب الفرح بها لكون السعادة الروحية أفضل من السعادة الجسدية، لأن الأخيرة زائلة فانية والأولى خالدة باقية، ومنشأ هذا الفرح وهذه السعادة هو المحبة

(١) رغم أن أغلب المفسرين جاء عنهم أن الفضل: القرآن والرحمة: الإسلام، إلا أن السادة الصوفية قالوا: ان الرحمة هو رسول الله ﷺ، فهذا العلامة الآلوسي يقول في تفسيره: ﴿وأخرج أبو الشيخ عن أبن عباس رضي الله عنهما أن الفضل: العلم والرحمة: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم﴾. وأخرج الخطيب وابن عساكر عنه تفسير الفضل: بالنبي ﷺ، والرحمة: بعلي ﷺ، والمشهور وصف النبي ﷺ بالرحمة كما يرشد قوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، بيروت، ٨/ ٤١ .

الإلهية، قوله ﷻ ﴿ يأتي الله بقوم يُحبهم ويحبونه ﴾. [المائدة: ٥٤]، قوم خَصّهم ﷻ بصفات الكُمل من المؤمنين هم عباد الله المخلصين، والرجال الصادقين الذين تكّفلَ الرحمن بهدايتهم ووعد بالإتيان بهم، «وأنهم أكمل الخَلق أوصافاً وأحسنهم أخلاقاً، أجلُّ صفاتهم أن الله تعالى ﴿ يُحبهم ويحبونه ﴾، وإذا أحب الله عبداً يسر له الأسباب، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد»[١]، ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أنّ فضل الله ﷻ ليس عليه حجاب، فقال ﷻ: ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾. [الجمعة: ٤]، واسع الفضل والإحسان سبحانه، جزيل المنّ والعطاء، يُوسّع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، وهو تعالى أعلم حيث يجعل رسالته .

❖ الطريقة الحيّة المتصلة السند

تفصح عن رجالها إلى الأبد

تنتقل أنوار اللمسة الروحية في السلسلة العلية القادرية الكسنزانية من كابر إلى كابر وعند ميقات ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ يجتبي الله ﷻ أحباءه، فتفتح أسرارها ليكون الوارث المحمدي المحفوف بالعناية الصمدانية والمحفوظ بالتجليات الإلهية حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان الحسيني قدس الله سره، خليفة الله في أرضه وبلاده، وشمس عنايته لعباده، نهرو الفيوضات بالأنوار الساطعات على النجوم المتلهفة لمعاني الأسماء والصفات، المكتنز من بحر الحقيقة المحمدية خصال ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾.

يقول السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان الحسيني قدس الله سره[٢]: إنّ الله

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير عبد الرحمن السعدي، العبيكان للنشر، ١٩٨٨م.

(٢) محاضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان الحسيني (جهاد النفس) بتاريخ ١٧/ ٩/ ٢٠٢٠، youtu.be/-X٩٤m٥aiV٤A .

سبحانه وتعالى جعلكم خلفاء على هذه الأرض فباهى الملائكة عندما قال ﷻ: ﴿ إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾. [البقرة: ٣٠]، لذا يجب علينا أن نعطي حق هذه الخلافة في الأخلاق أولاً ثم في العبادات، كما تترتب على عاتقنا واجبات تجاه البشرية لأن لدينا مشتركات مع جميع البشر الذين يحترمون معنى الإنسانية ويقدرون إنسانية الإنسان، فنحن نكُنُّ لهم المحبة فالحُبّ سمة الخلق، ونحترمهم ما داموا يحترموننا، والتلاقح الثقافي والإنساني بين البشر مطلوب .

أنتم رسل السلام ورسل المحبة لبقية البشر، وإنكم تساهمون في دفع الناس إلى الصراط المستقيم، أنتم قدوة للآخرين تمثلون الرابطة بين الأمم لأنكم رسل البشرية تنشرون الأخلاق الطيبة الأخلاق المحمدية، فمعاناة البشر اليوم هي فقدانهم لتاج الأخلاق الذي يتوج رؤوسهم كونه من متمم الأخلاق من نور سيدنا محمد وآل محمد ﷺ، هذه رسالة الرسول ﷺ إلى شيخنا، لأن شعوب الأرض جميعاً بحاجة إلى تجديد هذه الرسالة هذه البيعة .

وحضرة السيد الشيخ السلطان محمد المحمد الكسنزان قدس سره يقول: البيعة طوق من الذهب فإذا تمسك به المريد فهو حُليّ كبير يتباهى به أمام الملائكة وملائكة الذكر، أما الذي يخالف يكون طوق من النار، دعاءنا أن لا يكون طوقاً من النار .

نحن نتواصل مع كل الطوائف والأديان بمبادئ الحُبّ والإنسانية وهذا منهج جدنا رسول الله ﷺ، أنتم على هذا المنهج وهذه العقيدة وأنتم الأعلون، الأمم أمانة في أعناقنا، نحن ندعو للتعايش السلمي بين شعوب العالم ونقف ضد الظلم والفساد، ونعمل على رفع الغبن عن الناس، وهذه الحالة الاجتماعية الغير مستقرة والتي أفرزت المآسي التي يعاني منها الفقير والضعيف لا بُدَّ أن تنتهي، إنّ مناسبة (عاشوراء) وثورة مولانا الحسين عليه السلام ضد الظلم تعتبر من أكبر الإشارات ومن أعظم الدروس التي

تسكن في أعماقنا وتشكل لنا دافعاً لخدمة الإنسانية جمعاء . كان قيام الحسين عليه السلام لتجديد دين جده المصطفى ﷺ ضد الطغاة الظالمين، واليوم منهجنا منهج الكسنزان هو منهج جدنا ﷺ وسلم ومنهج آل بيته وأصحابه الذين صدقوا مع رسول الله ﷺ وسلم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .

إنّ واجب عمارة الأرض يلقى على عاتقنا التواصل مع بقية الشعوب، فجاء انبثاق المجالس الثقافية[1] المباركة كضرورة مُلحّة في كل المحافظات وفي جميع البلدان التي يتواجد فيها مريدي الطريقة الكسنزانية فهم نور وبركة، إن شاء الله أبناء الطريقة هم حاملي العِلم الحقيقي العلِم اللدني، فهم جديرين في الإبحار في مجال الروح في جانب الحقيقة، نعم أبناء الطريقة الذين ضَحّوا بكل شيء فهم كأبي يحيى الذي ضَحّى بكل شيء حتى وصل المدينة مهاجراً إلى رسول الله ﷺ بنفسه فقط، فبشره قائلاً: «ربح البيع يا أبا يحيى»، فإن شاء الله بيعكم ومبايعتكم من شيخكم إلى حضرته ﷺ .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد

---

(١) كانت بغداد تزهو بالكثير من المجالس الثقافية، ومنها مجلس السيد الشيخ محمد الكسنزان قدس سره الذي يجمع بين العلم والذكر، وكان يحضر مجلسه العديد من النخب الثقافية والدينية والاجتماعية والتربوية وحتى السياسية، وتتم خلال الجلسات مناقشة كافة المواضيع وفي شتى المجالات والاختصاصات، وكان هذا المجلس يستقطب المهتمين بالشأن الثقافي والصوفي من العلماء والآدباء والمفكرين والمعنيين في علوم الاجتماع والفلك والتاريخ، وكان الشيخ محمد الكسنزان قدس سره يعمل جاهداً على أن يكون مجلسه موسوعياً يتناول فيه الباحثون مختلف العلوم والفنون، وكانوا حريصين على استذكار الرموز العراقية والإسلامية التي كان لها إسهامات في = = بناء حضارة العراق والحضارة الإسلامية والذين قدموا خدمات جليلة للإنسانية جمعاء . كما كان لهذا المجلس دور كبير في نشر قيم المحبة والتسامح والسلام، وكانت أنوار الرحمة والمودة والأخاء تشع منه بين الناس . للمزيد أنظر: الباحث نوري جاسم

https://www.alsoufiaalyoum.com. –المجالس–الثقافية–الصوفية-في-بغداد/

الخاتمة

وهكذا يُقيّض الله ﷻ في كل عصر وجيل رجالاً ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأوي الجاهلين، ويدعون إلى التزكية الخالصة وإلى الإحسان، فيجددون هذا الطب النبوي ويُحيّون الإيمان لكل عصر وينفخون في الأمة روحاً جديدة، فظل ظهور المصلحين يتوالى على نحو متواصل الفترات عبر حلقات التاريخ للتجديد والاجتهاد، وظلت مشاعل الاصلاح منورَّة لا تطفئها العواصف وقوافل روّاد الروحانية رائحة غادية، فجليس المرشدون على السبل المؤدية إلى الدنيا يرشدون الناس بأقوالهم وأحوالهم إلى طريق الهداية والرشاد .

ولما كانت الصوفية تمثل الجانب الروحي النقي، بل وتمثل روح الإسلام ولبه، لذا فهي تعتبر الملجأ للجماهير الغفيرة الحائرة من البشر، هذه الجماهير التي أنهكتها الحياة بماديتها، والحروب بدمارها والمدنية بغطرستها، فكانت دعوة السيد الشيخ السلطان دعوة يظللها العفو واللطف، وترك العنف والتزام الموعظة الحسنة، فبهذا استطاع جذب القلوب إلى المحبوب سبحانه، فنراه إذا جادل فبالتي هي أحسن، أي بالحجة الأقوى والطريقة الأقوم، فكان آية للهدى ودلالة على الرشاد، ودعوته إلى التصالح الاجتماعي والسلم والمودة والأخاء لجميع البشر، وإنّ اختلافهم في الآراء والمعتقدات والطبائع أمر طبيعي يجب الاعتراف به وقبول الآخر المخالف رأياً وسلوكاً دون رفضه وإقصائه، وإنما تصحيح الانحراف يتم بالرفق واللين لا بالقوة والعنف .

من هنا تبرز الأهمية الاجتماعية للرسالة التي يحملها السيد الشيخ السلطان، وهي بحد ذاتها دعوة الرسالة المحمدية للإنسانية كافة، قوله ﷻ ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾. [سبأ: ٢٨]، وتبرز قيمة تزكية النفوس وتطيب القلوب وتضميد جراحات الفرد والجماعة، ومحافظة هذه الدعوة على الكيان الاجتماعي للأمة والوقوف ضد ما تتعرض له من تصدعّ وانهيار .

وهذا هو شأن العارف بالله، شأنه البعد الإلهي للحياة، فهو يُرجعُ كل شيء إلى حكمة الله ﷻ قوله ﷻ: ﴿ الذي أعطى كلَ شيءٍ خَلقُهُ ثم هدى ﴾. [طه: ٢٠] .

فكل هَمٍّ من هموم السيد الشيخ السلطان الخليفة كانت غايته إحياء المعاني الكامنة وراء تفاصيل الحياة، وذلك لأن نظرته إلى أنّ الحياة بدون معناها الإلهي تغدو عدمية قاتلة .

لقد ضرب السيد الشيخ السلطان المثل الأعلى بتجنبه العداوات والمعارك الجانبية المفتعلة بين المذاهب والطوائف والأديان، وجدَّ السير للنهوض، إن مَن ينهض بالأمة هو مَن ينظر إلى الجميع لا إلى نفسه فقط، فكان منهجه علمٌ وعملٌ ونفعٌ للآخرين ونشرٌ لمبادئ التصوف الحق وإرشاد بين الناس في أرجاء المعمورة للعودة بالشباب إلى الوسطية والوقوف بوجه التشدد والتطرف، ومجابهة مشاريع التمزق والذوبان وضياع الهوية .

لقد تكللت جهود السيد الشيخ السلطان في إحياء وتجديد الطريقة العلية القادرية الكسنزانية وفي خدمة الإنسان وعمارة الكون بتحققه في مقام الخلافة الإلهية بمعاني قوله ﷻ ﴿ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة﴾. [البقرة: ٣٠]، وبأخذ العهد لمن يخلفه ليحمل الراية كابر عن كابر، وليفصح عن المعاني السامية باستمرار اللمسة الروحية المتصلة في رجال هذه السلسلة المباركة، سلسلة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ولقد صدق

قول الناظم عندما قال[1]:

أخذ العهـد لمن يـخلُفهُ شمـس ديـن الله حِـبَّ النجبـاءِ

رافعـاً رايـات جنـد المصطفى ينشرُ العدلَ وعـزَّ الفقراءِ

ليكـون العونَ مـن عليـائهِ ويـنـيـرَ الدرب دربِ الأولياءِ

ويقيـمَ النـصرَ والفتحَ الـذي هو مَن يشفي صدورَ الضعفاءِ

شيخنا نهـرو لإن نـاديتنـا سيـقول الجمعُ لبيـكَ النداءِ

من هنا جاء الخطاب الصوفي الكسنزاني ليكشف عن مدى التنوع والتجدد لدى الفكر الصوفي المعاصر، وليدلل على قدرة التصوف على الاستمرار والعطاء في ظل المتغيرات، وما يمكن أن يُقَدِمهُ هذا الفكر لمكافحة التطرف والإرهاب، ومدى استطاعته على المحافظة على قيّم أخلاقية بدأت تنزوي من مجتمع اليوم .

المصادر والمراجع

أولاً/ القرآن الكريم .

ثانياً/ كتب التفسير :

١- الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسني، روح المعاني في تفسير القرآن

(١) الحديثي، أ. د عبد السلام بديوي، قصيدة لقاء قبل اللقاء، ١١/ ٩/ ٢٠٢٠، موقع رواد الخلود: https://youtu.be/IQ-fu١Y٣٤j=JM.

العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، بيروت ،

٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير عبد الرحمن السعدي، العبيكان للنشر، ١٩٨٨م.

ثالثاً/ كتب الحديث :

١- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢م، دمشق - بيروت .

٢- مسلم، صحيح مسلم، ت: نظر بن محمد الغاريابي، ط١، دار طيبة، ٢٠٠٦م، الرياض .

٣- الحاكم، المستدرك، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت .

٤- أبو داود سنن أبو داود، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، بيروت .

٥- المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد معروف، ط١، ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

٦- الطبراني، مسند الشاميين، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٨م، بيروت .

٧- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ٢٠١٠م، بيروت .

٨- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، القاهرة .

٩- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ت: المعلمي: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ .

رابعاً/ الكتب والمراجع :

١- الباحث، التصوف الإسلامي في العراق من بداية القرن الرابع عشر الهجري حتى الوقت الحاضر، أطروحة دكتوراه نوقشت في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان - الأردن، بتاريخ ١٧/ آذار / ٢٠١٤م .

٢- البدراني، أحمد فكاك، الحركة الصوفية في العراق، رسالة ماجستير، جامعة الموصل.

٣- جياووك، بوتان معروف، النفحات الكسنزانية، مطبعة أسعد، ١٩٨٧م، بغداد .

٤- الحديثي، د. عبد السلام بديوي، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب (٧٢)، كانون الأول ٢٠١٢ .

٥- الخفاجي، بهاء ناصر، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب ٧٢، كانون الأول ٢٠١٢ .

٦- الرازي، فخر الدين، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، بيروت .

٧- رسالة الرد على المُمهدين، المكتب الإعلامي للطريقة العلية القادرية الكسنزانية، د.ت.

٨- السكندري، ابن عطاء، الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦، القاهرة .

٩- الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ت: طه عبد الباقي سرور وصاحبه، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، مكتبة المعارف، بيروت .

١٠- الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، ج٥، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦م، بيروت .

١١- الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ط١، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م، القاهرة.

١٢- الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ط٢، د.ت، مطابع

الأديب البغدادية، بغداد .

١٣- الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار المحبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، سوريا .

١٤- مجلة الكسنزان، رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، العراق - السليمانية، العدد (٨)، ربيع ٢٠٠٩م .

١٥- الندوي، أبو الحسن علي، ربانية لا رهبانية، ط٣، ١٩٧٨، دار الفتح، بيروت .

١٦- الندوي، أبو الحسن علي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر د.ت .

١٧- نصار، د. جمال، الطريق إلى الطريقة، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

خامساً/ شبكة الأنترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي :

1- www.alhabibali.com.

2- https://www.youtube.com/watch?v=4rGXX1Bq1Qw.

3- https://youtu.bez7qejlxy08.

4- https://youtu>be/JhhA1x-AMIo .

5- https://youtu.be/IQ-fu1Y34j=JM .

6- https://www.alsoufiaalyoum.com.

7- youtu.be/-X94m5aiV4A .